IUGJEPS
Vol 28, No 2, 2020, pp 31 -46

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (30-10-2018)، تاريخ قبول النشر (30-01-2019)

نماذج من نقد ظلم الملوك في الشعر الأندلسي

اسم الباحث: د. عبد العزيز غنام المطيري *1

1 اسم الجامعة والبلد: قسم اللغة العربية- كلية الآداب- الجامعة الأردنية- الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Q8uy@hotmail.com

الملخص:

تناول الباحث في هذه الدراسة الموسومة ب" نماذج من نقد ظلم الملوك في الشعر الأندلسي"؛ الظواهر التي ألهمت الشعراء لكتابة هذا النوع من الشعر الذي لا تحمد عقباه في ظل الحكام والملوك المستبدّين، كما ركز الباحث على إظهار انعكاسات شعر هؤلاء الشعراء على مسار الأوضاع السياسية، إضافة إلى تتبع مصائر الشعراء التي كانت في الغالب؛ إمّا القتل، أو السجن، أو المنفى.

وقد استقرأ الباحث نماذج من الشواهد الشعرية التي تناولت نقد ظلم الملوك؛ معتمداً في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي.

وشملت الدراسة نماذج منتقاة من جميع العصور التي حكم فيها المسلمون بلاد الأندلس؛ وهي: عصر الولاة (92- 138ه)، وعصر الدولة الأموية (138- 422ه)، وعصر ملوك الطوائف (422- 484ه)، وعصر المرابطين (484- 541ه)، وعصر دولة الموحدين (541- 635ه)، وعصر دولة بني الأحمر (635- 897ه).

كلمات مفتاحية: نقد، ظلم الملوك، الشعر الأندلسي.

Examples of criticism of the injustice of kings in Andalusian poetry

Abstract:

In this study, which is referred to as "critique of the transgression in poetry during the times of Andalusi kings", the researcher examined the root causes to why this type of poetry, which led to bad consequences in most cases due to the presence of unjust authoritarian rulers, manifested during that era. The researcher also studied the impact of this type of poetry in relation to political affairs at that time. In addition, the fate of these poets was looked into in this research which usually ended up in homicide, imprisonment, or exile.

The researcher followed a descriptive and inductive methodology in analyzing the poetic texts by analyzing poets that showed and criticised rulers and their injustice.

This study covered all the kingdoms in the times of Andalusi era which are: Alwollah period (92-138 hijri), AlAmaowia period (138- 422 hijri), period of mlook altwaief (422-484 hijri), Almorabteen period (484-541 hijri), the era of of Mowahdeen state (541-635), the period of the state of Bni Alahmar (635-897 hijri).

Keywords: Criticism- THE INJUSTICE OF KINGS- ANDALUSIAN POETRY

المقدمة:

حينما يستبد السلطان بسلطانه ويتفرد برأيه؛ تتغلب عليه شهواته، وتتلاشى فيه ملامح إنسانيّته، ويجور ويطغى، قال تعالى: " كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ (٦)أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ (7)" **[العلق:6-7]**. وبظل الحكم المطلق الذي مارسه الملوك في بلاد الأندلس؛ فقد رسَخَت مظاهر الظلم والطغيان طوال القرون الثمانية التي مكث المسلمون فيها، بدءًا بعصر الولاة وانتهاءً بدولة بني الأحمر.

وقد تناول الشاعر الأندلسي مظاهر الظلم الذي مارسه الطغاة المستبدّون على شعوبهم. واختلفت أساليب الشعراء في هذا المجال، فمنهم من استخدم أسلوب الهجاء في النقد، ومنهم من انتقد بأسلوب السخرية والاستهزاء، وشعراء آخرون استخدموا أسلوب النقد البناء من أجل الإصلاح والإشارة لمكامن الخلل لتلافيها.

ومن خلال شعر نقد الظلم استطاع الشعراء رسم الملامح والسمات التي كان يتّصف بها ملوك الأندلس. وقد دار الشعراء في فلك يضم ظلم الملوك واستبدادهم من عدّة جوانب منها: طغيان الملوك وجبروتهم_ التحيز لفئة دون أخرى_ موالاة النصارى على المسلمين_ فرض الضرائب والمكوس التي أرهقت الرّعية... إلى غير ذلك من الجوانب التي سلّطت الضوء على سوء الوضع السياسي الذي كانت تعانيه الأمة في الأندلس من الفتح حتى السقوط.

الدراسات السابقة:

1- النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي " ديوان القيسي نموذجاً"، " بحث محكم"، إعداد: جمعة شيخة، تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد: ع37، الصفحات: 29-54، 1995م.

2- الصراعات وأثرها في الشعر السياسي " في عهد الإمارة"، " رسالة ماجستير"، إعداد: علي مزاتي، الجزائر، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2007- 2008م.

3- الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، " رسالة ماجستير" إعداد: محمد شهاب أحمد، بغداد، الجامعة المستنصرية، 1988م.

4- الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، " رسالة دكتوراه" إعداد: أمحمد بن لخضر فورار، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، العام الدراسي 2004- 2005م.

5- شعر الملوك والأمراء في الأندلس: دراسة في موضوعاته وأساليبه، " رسالة دكتوراه" إعداد: رغدة علي محمد الزّبون، الأردن، الجامعة الأردنية، 2010م.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأنها اختصت في شعر النقد السياسي في الشعر الأندلسي بجميع أزمنته وعصوره؛ من فترة حكم الولاة إلى سقوط دولة بني الأحمر؛ آخر معقل من معاقل المسلمين في بلاد الأندلس، إضافة إلى إسهابها في موضوع شعر النقد السياسي الخاص بظلم الملوك؛ بينما تحدثت الدراسات السابقة بإيجاز عن هذا الموضوع الذي أدرجته ضمن موضوعاتها المتعددة.

- **عصر الولاة والدولة الأموية في الأندلس:**

وإذا بدأنا في عصر الولاة نجد ظلم الخلفاء وتحيزهم لقبيلة دون أخرى في تنصيب الولاة، ففي خلافة يزيد بن عبد الملك كان النصيب الأكبر من ولاة الأندلس لقبيلة مضر القيسيّة؛ ذلك أنّ العناصر العربية منحدرة من قبيلتين كبيرتين؛ اليمانيّة الكلبيّة والقيسيّة المضريّة، وقد أخذ ولاة القيسيّة في التعصب ضد اليمنية، واستمر ظلم المضريين لليمنية حتى جاء عهد هشام بن عبد الملك الذي كان هواه يمانياً ومتعصباً لهم، فولى الأمر لهم فترة من الزمن، إلى أن تبدّلت أهواؤه، وبدأ يميل إلى القيسيّة، فعاد الأمر كما هو في السابق من احتقان اليمنيّة وحنقهم، وتعدى أمر تذمّرهم من القيسيّة ليصل إلى بلاط الخلافة، وكان من بين

اليمنيّة الذين أوغرت صدورهم من فعل ولاة القيسيّة بهم، هو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[1]، وكان من كبرائهم ومقدماً فيهم، فأرسل أبياتاً إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يقول فيها:[2]

أَفأتمْ بنـــي مروانَ قيساً دِماءنـــا ... وفي اللهِ إن لم تَنْصفوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأنَّكم لـــم تَشْهدوا مَرْجَ راهِـــطٍ ... ولم تَعلموا من كان ثَمَّ لهُ الفضلُ
وقيناكمُ حـــرَّ القنـــا بنحـــورنا ... وليسَ لكـمْ خيلٌ سـوانا ولا رَجْـلُ
فلمّا بلغتـــمْ نيلَ ما قـــدْ أردتـمُ ... وطابَ لكمْ فيها المشاربُ والأكـلُ
تعاميتـــمُ عنّـــا بعيـــنٍ جليّـــةٍ ... وأنتـــم كذا ما قـدْ علِمنا لها فعلُ
فلا تأمنوا إنْ دارتِ الحربُ دورةً ... وزلّتْ عـن المـرقاةِ بالقـدمِ النَّعْلُ
فينتقضُ الحبلُ الذي قـد فتلتـمُ ... ألا رُبَّمـا يلـوى فينتقضُ الحبـلُ

قال أبو الخطار هذا الشعر يعرّض فيه بيوم " مرج راهط"، وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم، وقيام القيسيّة بقيادة الضحاك بن قيس الفهري مع عبد الله بن الزبير. وقد ضمّن الشاعر في هذه الأبيات جملة من الرسائل المباشرة، التي تحمل في طيّاتها مجموعة من الأساليب الإنشائية التي كان غرضها؛ التحذير، والتذكير، والعتاب، والتهديد. ففي البيت الأول قام الشاعر بتحذير الخليفة إن استمر على هذا الظلم ولم يعدل في حكمه، فإن هناك حكم عدل؛ ويقصد به العدالة الإلهية التي أعدّت للظالمين سوء العذاب، وفي البيت الثاني والثالث يذكّر ابن الخطار الخليفة المرواني بموقف قبيلته اليمنيّة، وولائها لجدّه مروان بن الحكم، وقتالهم بجانبه في معركة " مرج راهط"؛ في حين وقف القيسيّة مع ابن الزبير، ثم ينتقل الشاعر في البيت الرابع والخامس لمعاتبة الخليفة على تغافله عن النظر لهذه الاعتبارات التي ذكرها، ثمّ يختم ابن الخطّار قصيدته مهدداً الخليفة بأنّه سيخسر ولاء القبيلة اليمنيّة، ولن يجدها بجانبه إن احتاج إليها في حالة نشوب حرب تشبه تلك الحرب الضروس في " مرج راهط"، ويهدد أيضاً بنقض حبل المودّة والموالاة الذي طالما كان موثوقاً بين اليمنيّة وبين المروانيين طوال مدّة خلافتهم.

ومما يلاحظ في هذه الأبيات؛ جرأة الشاعر على الخليفة، فمن المستغرب أن يُخاطب ملك مستبّد بهذا الخطاب شديد اللّهجة، ومن الأغرب أن يرضخ هذا الملك لهذا الخطاب، حيث أصدر الخليفة هشام بن عبد الملك أمراً في تولية أبي الخطّار الأندلس فور سماعه تلك الأبيات.[3]

وفي عصر الإمارة الأمويّة في الأندلس، وفي فترة الأمير عبد الرحمن الأوسط تحديداً؛ نذكر أبياتاً للفقيه أبي مروان الإلبيري[4]، قالها حينما شاع أنّ السلطان المذكور أعطى زرياباً ألف دينار عندما غنى له شعراً أطربه، إذ يقول:[5]

مِلاكُ أمري والذي أرتجي ... هَيْنٌ على الرحمنِ في قُدْرَتِهْ
ألفٌ من الشُّقْرِ وأَقْلِلْ بها ... لعالـــمٍ أَربـــى علـــى بُغْيَتِهْ
يأخُذُها زِرْيابُ فـي دَفْعَةٍ ... وَصَنْعتي أَشرفُ منْ صَنْعَتِهْ

ولعلّ الفقيه أبا مروان لم يكن غرضه من هذه الأبيات معاتبة الأمير على هذه الأعطية فحسب، بل أراد منها انتقاد سياسة الأمير في هذا الشأن، وإيصال رسائل مفادها الاستياء من جعل منزلة أهل الطرب والغناء فوق منزلة الفقهاء، خاصة أنّ أعطيات زرياب من قبل عبد الرحمن الأوسط لم تقف عند هذا الحد، فحينما قدم زرياب إلى الأندلس وعلم الأمير عبدالرحمن

(1) ولي إمارة الأندلس في سنة 125هـ، وخلع منها عندما أظهر التعصّب لليمانية وفضّلهم على المضريّة، وكان ذلك في سنة 128هـ. انظر: ابن الأبّار، الحلّة السيراء (ج1/61- 64).
(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس (مج2/42- 43). الحميدي، جذوة المقتبس (ص292). ابن الأبّار، الحلة السيراء (ج1/64). الضبّي، بغية الملتمس (ج1/345). ابن عذاري، البيان المغرب (ج1/50).
(3) انظر: ابن الأبّار، الحلة السيراء (ج1/65).
(4) أبو مروان عبد الملك بن حبيب السُّلمي الإلبيري، فقيه الأندلس. عرض عليه عبد الرحمن الأوسط المرواني قضاء القضاة فامتنع. توفي سنة 239هـ. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج2/96).
(5) المرجع السابق (ج2/96).

بقدومه، " كتب إلى عمّاله على البلاد أن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة، وأمر خصياً من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور وإناث وآلات حسنة، فدخل هو وأهله البلد ليلاً صيانةً للحُرَم، وأنزله في دار من أحسن الدور، وحمل إليها جميع ما يحتاج إليه، وخلعَ عليه، وبعد ثلاثة أيام استدعاه، وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتباً، وأن يُجْرى على بنيه الذين قدموا معه – وكانوا أربعة: عبد الرحمن، وجعفر، وعبيد الله، ويحيى – عشرون ديناراً لكل واحد منهم في الشهر، وأن يُجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار، منها لكل عيد ألف دينار، ولكل مهرجان ونوروز[6] خمسمائة دينار، وأن يُقطع له من الطعام العام ثلاثمائة مدي ثلثاها شعير وثلثها قمح، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يُقوَّم بأربعين ألف ديناراً".[7]

ومن مبالغات الحكم في إكرامه لزرياب، أنّه استحسن غناءه وطرب له في إحدى جلساته؛ فأمر بأن يدفع له خُزّان بيت مال المسلمين ثلاثين ألف دينار، فأتاهم صاحب الرسائل بهذا الأمر، فنظر الخزّان بعضهم إلى بعض، فقال لهم شيخهم: قولوا، فقال له أصحابه: ما لنا قول مع قولك، فقال لصاحب الرسائل: نحن وإن كنا خُزّان الأمير، أبقاه الله، فنحن خزّان المسلمين، نجبي أموالهم، وننفقها في مصالحهم، ولا والله ما يُنفذ هذا، ولا منّا من يرضى أن يرى هذا في صحيفته غداً؛ أن نأخذ ثلاثين ألفاً من أموال المسلمين وندفعها إلى مغنٍ في صوتٍ غنّاه. يدفع إليه الأمير– أبقاه الله– ذلك من عنده، فانصرف صاحب الرسائل، وحدّث الأمير بالأمر، فقال زرياب: ما هذه طاعة ! فقال الأمير عبد الرحمن: هذه الطاعة ولأُولّينّهم الوزارة على هذا الأمر، وصدقوا فيما قالوا، ثمّ أمر بدفعه إلى زرياب مما عنده.[8]

وللشاعر أبي جعفر المصحفي[9] عدّة مقطوعات كتبها وهو في السجن؛ يذمُّ فيها ظلم الملك المنصور محمد بن أبي عامر[10] له بعدما يأس من محاولات الاستعطاف والتوسل من أجل إطلاق الأخير سراحه، ومن شعره في ذم الملك المنصور قوله:[11]

لا تأمننَّ من الزّمـــانِ تقلُّبـاً	إنّ الزمـــــانَ بأهلـــــهِ يتقلّبُ
ولقد أرانـي والليوثُ تخافنـــي	فأخافنـــي من بعدِ ذاكَ الثعلبُ
حَسْبُ الكريـم مذلّةً ونقيصةً	ألّا يزالَ إلـــى لئيـــمٍ يطلبُ
وإذا أتت أعجوبةٌ فاصبر لها	فالدّهرُ يأتي بعدُ ما هو أعجبُ

امتلأت هذه المقطوعة الأدبية بالعديد من الحكم والمواعظ؛ ففي كلّ بيتٍ من أبياتها حكمة وموعظة تترجم معاناة هذا الشيخ، وتصوّر صدق العاطفة التي تبيّن ملامح شعوره وإحساسه، كما تنوعت الأساليب البلاغية في هذه المقطوعة؛ ففي صدر البيت الأول يحذّر المصحفي من تقلّب الزمان باستخدام لا الناهية في قوله: لا تأمنن من الزمان تقلباً، ثم يؤكّد في عجز البيت نفسه حتمية تقلب الزمان بأهله باستخدام أداة التوكيد إنّ في قوله: إنّ الزمان بأهله يتقلب، وفي البيت الثاني يضرب مثلاً على تقلّب الزمان به؛ حيث ذكر كيف كانت الليوث تخافه، فأصبح يخاف من الثعلب؛ يعني المنصور، وفي البيت الثالث يبدي المصحفي فيه أسلوب التحسّر والندم على التوسّل والتذلل في طلبه العفو من الحاجب المنصور الذي نعته باللّئيم، ويختم المصحفي هذه الأبيات بالنصح، ويبدو أنّ هذه النصيحة قد وجّهها إلى نفسه؛ حيث يحثّها على الصبر أمام المصائب والعجائب التي تواجهه.

[6] النوروز: يطلق على المهرجان في يوم التهارق، وقد تهارقوا فيه؛ أي أهرق الماء بعضهم على بعض. ابن منظور، لسان العرب، مادة هرق.

[7] التلمساني، نفح الطيب (ج125/3).

[8] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس (مج83/2- 84).

[9] أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيلة من برابر بلنسية، ينتمي إلى قيس بالمحالفة. ولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر، واستوزره الحكم بن الناصر في بداية خلافته، ثم قلّده ولاية الشرطة، وحينما صار الأمر إلى الخليفة هشام المؤيد أصبح المصحفي حاجباً له. توفي في سنة 372هـ. انظر: ابن الأبّار، الحلّة السيراء (ج257/1- 259).

[10] كان ابن أبي عامر حاجباً للخليفة المؤيد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الثالث، ثم استولى على مقاليد حكم بلاد الأندلس، وتلقّب بالملك المنصور، إلّا أنّه كان يحكم باسم الخليفة هشام المؤيد بشكل صوري رغم تفرده بالحكم المطلق.

[11] ابن الأبّار،الحلّة السيراء (ج267/1). ابن بسّام، الذخيرة (ق69/4).

وفي تشبيه المصحفي للمنصور ابن أبي عامر بالثعلب؛ لم يكن ذلك التشبيه اعتباطاً، أو أنّ الشاعر أقحم هذه اللّفظة لتلائم القافية، بل إنّ هذه الصفة التي أطلقها المصحفي على ابن أبي عامر وهي صفة الثعلب، كانت من أشهر الصفات التي اتّصف بها الحاجب المنصور، وتكاد تُجمع المصادر التي تحدّثت عن المنصور على اشتهاره بصفات المكر والمخادعة، ومن بين هذه المصادر نذكر ما قاله ابن عذاري المرّاكشي في " البيان المغرب" عن الحاجب المنصور في هذا الجانب إذ يقول: " وكان المنصور آية من آياتٍ فاطره دهاءً ومكراً وسياسة عدا بالمصاحفة على الصّقالبة حتى قتلهم وأذلّهم، ثم عدا بغالب الناصري على المصاحفة حتى قتلهم وأبادهم، ثم عدا بجعفر بن الأندلسية على غالب حتى قتله، ثم عدا بنفسه على جعفر وقتله، ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدّهر: هل من مبارز"[12].

ويستمر المصحفي في ثورته الشعرية على ابن أبي عامر، ويستمر أيضاً في توجيه الرسائل التي تحذّر الحاجب المنصور، وتذكّره بتقلب الزمان حيث يقول:[13]

لـــي مدّةٌ لا بدَّ أبلغُهـــا فإذا انقضتْ أيامُهـا متُّ
لو قابلتْني الأُسْدُ ضاريـةً والموتُ لم يُقدَرْ لما خِفتُ
فانظر إليَّ وكن على حذرٍ فبمثلِ حالكَ أمس قد كنتُ

وله أيضاً في هجاء المنصور:[14]

تندّمتُ والمغرور من قد تندّمـا وهل ينفع الإنسانَ أنْ يتندّمـا
غَرَستُ قَضيباً خلتُهُ عودَ كَرمةٍ وكنتُ عليه في الحوادثِ قَيّما
أكرّمُـــهُ دهــري فيــزدادُ خِسّةً ولو كان من عودٍ كريمٍ تكرَّما

يتابع المصحفي في هذه الأبيات مسيرة التحسّر والتندم، فبعدما أشبع عاطفته من التحسّر بشأن استعطافه للمنصور وتوسله لإخراجه من السجن، صار يراجع بداياته مع ابن أبي عامر، ويتحسّر على إكرامه له والعناية به؛ فقد كان المصحفي هو السبب المباشر في إدخال ابن أبي عامر لقصر الخلافة حينما أوعز الخليفة الحكم المستنصر للحاجب المصحفي مهمّة إيجاد رجلٍ ذي أمانة وهمّة ليكون وكيلاً يعمل في خدمة ابنه عبد الرحمن[15]؛ فرشّح المصحفي محمد بن أبي عامر لهذه المهمّة، ولم يكن لابن أبي عامر طريق يُدخله القصر ويقرّبه من الدولة لولا وساطة الحاجب المصحفي له.[16]

ففي قوله في صدر البيت الثاني: غرست قضيباً خلته عود كرمة؛ يشبّه الشاعر خصيمه بالقضيب الذي كان يحسبه عود كرمة، والكرمة: شجرة العنب، ويقصد القول أنّه أتى بابن أبي عامر وزرعه في القصر كي يكون له عوناً ونصيراً، وأن يقطف ثمار ما زرعه فيه من الولاء والطاعة والمحبّة، ويكمل المصحفي في عجز هذا البيت: وكنت عليه بالحوادث قيّما؛ أي أنّه إضافة إلى تفضله عليه بإدخاله إلى القصر وتوليته مهمّة وكالة أبناء الخليفة، وخدمة أمهم السيّدة صبح؛ فقد كان يرعاه ويعينه على خصومه، ويساعده في تبوّء المكانة التي وصل إليها، وفي البيت الأخير يعلّل المصحفي أسباب خسّة المنصور معه مقابل إكرامه له في قوله: ولو كان من أصل كريم تكرما؛ وفي قوله هذا ذم واحتقار للأصل الذي ينحدر منه ابن أبي عامر؛ فلم تكن أسرة المنصور من الأسر التي لها شأن يُذكر في بلاد الأندلس، بل كانت أسرة متواضعة من العوام، لم يُعرف لها شأن ولم يخرج منها أحد يشار إليه بالبنان.

---

[12] ابن عذاري، البيان المغرب (ج2/286).
[13] ابن الأبّار، الحلّة السيراء (ج1/267). ابن بسّام، الذخيرة ق4/70).
[14] ابن بسّام، الذخيرة (ق4/70).
[15] عبد الرحمن بن الحكم أول ابن رزق به الخليفة المستنصر. أوكل المستنصر إلى ابن أبي عامر وكالة خدمته ورعاية جميع شؤونه.إلى أن مات وهو طفل صغير. فلمّا مات عبد الرحمن؛ بقي ابن أبي عامر في خدمة أمّه السّيدة صبح، وكانت قد ولدت هشام بن الحكم؛ فصرف ابن أبي عامر لوكالته. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب (ج2/251).
[16] انظر: المرجع السابق (ج2/251).

- **عصر ملوك الطوائف:**

لقد بدأ هذا العصر مع نهاية الخلافة الأموية في بلاد الأندلس، إذ انقسمت البلاد فور سقوط الخلافة إلى عدّة ممالك وإمارات، وقد اشتهر ملوك الطوائف بالنزعة الاستبدادية وبالطغيان والجبروت؛ فلم يكن من الشّعراء إلّا التعبير عن استنكارهم لما يرونه من مظاهر الظلم والاستبداد التي ظهرت من هؤلاء الملوك.

وللشاعر ابن خفاجة[17] قول يبيّن فيه الحاجة الماسة لوجود العدل في ظل انتشار مظاهر الظلم على أيدي الملوك الجبابرة؛ حيث يقول:[18]

لعمريَ لو أوضعتُ في مَنْهجِ التّقى لكان لنا فــي كلّ صالحــةٍ نَهْـجُ
فما يستقيــمُ الأمــرُ، والمُلْكُ جائــرٌ وهل يستقيـمُ الظلُّ، والعودُ مُعْوَجُّ

بدأ الشاعر خاطرته بالقسم في قوله لعمري، ثمّ أردف قسمه بالجملة الشرطية ليؤكد تحقق جواب الشرط إذا توافر فعله. فأداة الشرط؛ لو، وفعله؛ أوضعتُ في منهج التّقى، وجوابه؛ لكان لنا في كل صالحة نهج. ويقصد ابن خفاجة أنّ منهج التّقى الذي اشترط توافره في المُلْك سوف ينعكس على سائر شؤون المملكة بالخير والصلاح، وسوف يجني الناس ثماره في جميع نواحي الحياة. وفي البيت الثاني يبرهن ابن خفاجة على استحالة استقامة الأمر في كنف المُلك الجائر؛ من خلال تضمينه شطراً من التراث وهو: " وهل يستقيم الظل والعود معوج"؛ فقد شبّه الشاعر المُلْك بالعود، وشبّه سائر أجزاء المملكة بالظّل. فالعود هو الأصل، والظّل فرعٌ له. والمُلْك الذي عناه ابن خفاجة؛ المَلِك؛ وهو الأصل، والمملكة فرع له؛ مما يعني أنّه باستقامة المَلِك تستقيم البلاد والعباد، وبقول آخر: " إذا صلح الراعي صلحت الرعيّة".

لقد عاصر ابن خفاجة ملوك الطوائف وحكم المرابطين، فعاصر يوسف بن تاشفين ثم ابنه عليّاً من بعده، ومات في عهد ابن يوسف. ونستطيع التكهن هنا بأن هذه الأبيات إن كان يراد بها ظلم وجور مَلِكٍ بعينه فمن المرجّح أنّ الشاعر لم يكن يقصد بها يوسف بن تاشفين أو ابنه عليّاً؛ إذ إنّ كُتب التاريخ لم تتناولهم إلّا بالمدح والثناء وحسن السيرة، مما يجعلنا نرى بأنّ ابن خفاجة كان يعرّض بهذه الأبيات بملوك الطوائف، لِما اشتهروا به من ظلم وجور واستبداد بالسلطة، إضافة إلى أنّ ابن خفاجة لم يتّصل بملوك الطوائف، ولم تصدر منه مدائح فيهم، بينما نراه في عصر المرابطين يمطر شعر المديح على رجال الدولة المرابطيّة.[19]

ومن مظاهر ظلم ملوك الطوائف للناس، ما فرضوه من ضرائب ومكوس باهظة الثّمن، كانت تنفق على أمور ليس فيها خير لا على البلاد ولا على العباد. يقول ابن حزم الأندلسي: " إنّ كلّ مدبّر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أوّلها عن آخرها محاربٌ لله تعالى ورسوله، وساعٍ في الأرض بفساد، والذي ترونه عياناً من شنّهم الغارات على أموال المسلمين من الرعيّة التي تكون في مُلك من ضارّهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرّم الله، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم".[20]

ولعلّ رسائل ابن حزم التي كانت حادة في النقد وفي الذم لِما كان عليه ملوك الطوائف، جعلت أهواء السلطة الدينيّة المتمثلة في فقهاء المالكيّة مع أهواء السلطة التنفيذيّة المتمثلة في أمراء الطوائف تتّفقان، فقد أعجز ابن حزم في مناظراته فقهاء المالكيّة بغزارة علمه الذي جاء بعضه مخالفاً للآراء والمسائل التي استقرّ عليها المذهب المالكي، فعدم فقهاء المالكيّة الوسيلة في الردّ عليه ومن مقارعة الحجّة بالحجّة، فصاروا يُلصقون به التهم، وحذّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدّنو منه

(17) الشاعر إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الهواري. من أهل شقر. كان نزيه النفس لا يتكسب بالشعر. ولد سنة 451هـ، وتوفي سنة 533هـ. ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة (ج1/124- 125).
(18) ابن خفاجة، ديوانه (ص61). التلمساني، نفح الطيب (ج107/4).
(19) ابن خفاجة، ديوانه (ص6- 7).
(20) ابن حزم، رسائل ابن حزم (ج173/3).

والأخذ عنه. فسرّ ملوك الطوائف بما اجتمع عليه الفقهاء، وسارع كل ملك منهم بنفيه عن بلاده، وزاد المعتضد بن عباد في ظلمه له على ملوك الطوائف، فإضافة إلى نفيه أمر بإحراق جميع مؤلفاته التي في إشبيلية[21]، ومن شعر ابن حزم الذي يصف فيه ما أُحْرِقَ له من الكُتب؛ قوله:[22]

فإن تحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي تَضمّنهُ القرطاسُ بل هو في صدري
يسيرُ معـــي حيثُ استقلّتْ ركائبـــي وينزلُ إن أنْـــزِلْ ويدفَنُ فـــي قبـري
دَعونـيَ من إحـراقِ رَقٍّ وكاغَـــدٍ[23] وقولوا بعلمٍ كي يرى الناسُ من يدري
وإلّا فعـودوا فـــي المـكاتبِ بدْأةً فكـمْ دونَ ما تبغـــونَ للهِ مـن سترِ

ويتبيّن لنا من هذا الشعر أنّ الفقيه ابن حزم، لم يتراجع عن مبادئه التي نُفي وأُحرقت مؤلفاته بسببها، بل استمر في نضاله وتحديه لملوك الطوائف، حتى إنّ البيت الأول من هذه الأبيات قد صار مثلاً يتمثّل به كلّ من صودرت أو أُحرقت كتبه ومؤلفاته بسبب رأي سياسي عارض فيه وانتقد سياسات الظلم والاستبداد في شتّى البقاع الإسلامية.

إنّ النّاظر في سياسة ملوك الطوائف يرى أن ممالكهم قامت على الجور والظّلم والاستبداد، وعلى التّرهيب وتخويف العامة، فالمعتضد بن عباد كان يتفنن في أساليب التعذيب والقتل، ومما يُنسب إليه من الأعمال، " أنّه قتل رجلاً أعمى بمكة كان يدعو عليه بها، كان هذا الرجل من بادية إشبيلية، كان المعتضد قد وضع يده على بعض مال هذا الرجل، وذهب باقي ماله حتى افتقر، ورحل إلى مكّة، فظلّ يدعو على المعتضد بها إلى أن بلغه عنه ذلك، فاستدعى بعض من يريد الحج وناوله حُقًّا[24] فيه دنانير مطليّة بالسُم، وقال: لا تفتح هذا حتى تدفعه إلى فلان الأعمى بمكة، وسلّم عليه عنّا، فحين وصل مكّة لقي الأعمى ودفع إليه الحُقّ، وقال هذا من عند المعتضد؛ فأنكر ذلك الأعمى، وقال: كيف يظلمني بإشبيلية ويتصدّق علي بالحجاز، فلم يزل الرجل يخفضه إلى أن سكن وأخذ الحُق، فكان أول شيء فعله أن فتح الحُق وعمد إلى دينار من تلك الدنانير فوضعه في فمه، وجعل يُقلِّب سائرها بيده، إلى أن تمكّن منه السّم، فما جاء الليل حتى مات."[25] " وقتل المعتضد أيضاً على هذه الصورة رجلاً من المؤذنين من أهل إشبيلية، فرّ منه إلى طليطلة، فكان يدعو عليه بها في الأسحار، مقدراً أنّه قد أمن غائلته إذ صار في مملكة غيره، فلم يزل يعمل فيه الحيلة إلى أن بعث من قتله فجاءه برأسه."[26]

ومن صور الظلم والجبروت التي اتّسمت به شخصية المعتضد، " اتخاذه خُشباً في ساحة قصره جلّلها برؤوس الملوك والرؤساء عوضاً عن الأشجار التي تكون في القصور، وكان يقول: في مثل هذا البستان فليتنزه"[27]. وقال أيضاً قصيدة يفتخر فيها بجبروته وطغيانه، متباهياً بما صنعه برؤوس أعدائه:[28]

لقـد حُصّلْتِ يا رُنْدَهْ فصرْتِ لملكنا عِقْـدَهْ
أفـادتْنـاك أرمـــاحٌ وأسيافٌ لهـا حـــدَّة
وأجنـــادٌ أشـــداءٌ إليهم تنتهـي الشِّـدَّةْ
غدوتُ يروننـي مولـىً لهـم وأراهُـمُ عُـــدّةْ
سأفنـــي مُدّة الأعـدا ء إن طالتْ بـي المُدَّةْ
وتبلـى بـي ضلالتُهُمْ ليزدادَ الهـوى جـــدَّةْ

(21) انظر: ابن بسّام، الذخيرة (ق1/168- 169).
(22) ابن حزم، ديوانه (ص88). ابن بسّام، الذخيرة (ق1/171). التلمساني، نفح الطيب (ج2/82).
(23) الكاغد: القرطاس. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (ص315).
(24) الحُق: وعاء صغير ذو غطاء، يتخذ من عاج أو زجاج، أو من غيرها. انظر: المرّاكشي، المعجب (ص74).
(25) المرجع السابق (ص74).
(26) المرجع نفسه (ص74).
(27) المرجع نفسه (ص73).
(28) ابن بسّام، الذخيرة (ق2/32). ابن الأبّار، الحلة السيراء (ج2/50).

فكـــم من عــدّةٍ قتَّلْـ ـتُ منهــم بعدهـا عدّةْ
نظمتُ رؤوسهم عقداً فحلَّـتْ لَبَّـةَ[29] السُّـدّةْ

وفي وفاة المعتضد يقول أبو الوليد ابن زيدون[30] مظهراً الفرح والسرور بموت هذا الطاغية الذي أرهق المسلمين بظلمه وجبروته:[31]

لَقَـدْ سرّنـــا أنّ النّعِـيَّ[32] مُـــوَكَّـــلٌ بطاغيَةٍ قـــدْ حُـــمّ[33] مِنْـــهُ حِمــامُ[34]
تجانبَ صوبُ الغيْثِ عن ذلكَ الصدى وَمَرّ عليــهِ المُزْنُ[35] وهـــوَ جَهــامُ[36]

أوضح الشاعر في مطلع هذين البيتين سبب المسرّة لسماع خبر موت ابن عبّاد، إذ إنّه كان طاغية أزهق أرواح الكثير من الناس، وفي صدر البيت الثاني شبّه ابن زيدون دمع العين بالغيث، وقصد بالصدى خبر وفاة المعتضد؛ مما يعني أنّ الدموع قد تساقطت على خبر وفاة غيره، ولم تسقط على خبر وفاته، وشبّه أيضاً في عجز هذا البيت مقلة العين بالسحاب الذي فرغ ماؤه، ويعني الشاعر بأنّ العيون قد جفّ دمعها على الأموات الذين ماتوا على يد المعتضد غيلةً وغدراً، وحينما سمعت خبر موته؛ لم تجد دمعاً تبكي أو تتباكى به.

وبالرغم من أنّ ابن زيدون كان يعمل في بلاط المعتضد ثم في بلاط ابنه المعتمد من بعده، إلّا أنّه لم يتوانَ عن إظهار ما في سريرته عند خاصته فرحاً بموت هذا الطاغوت الذي لم يكن مأمون الجانب لمن هم يعملون عنده.

وحينما نتساءل ونتعجب من هذا الشاعر الذي كان يمدح المعتضد في حياته، ثم يسارع إلى هجائه بعد مماته، سوف نجد الإجابة عن هذا التساؤل بلسان الشاعر ابن زيدون نفسه؛ فقد كان ابن زيدون قبل مجيئه إلى إشبيلية واتصاله بالمعتضد قرطبي المنشأ والمسكن، وبشعر المديح في أبي الحزم بن جهور ملك قرطبة أصبح مقرباً عنده، وصار من خاصته زمناً ليس بالقليل؛ إلى أنْ تكدّر صفو العلاقة بينهما، وصار من سيء إلى أسوأ، فزجّ بابن زيدون في السجن، وظل يتوسل إلى أبي الحزم كي يطلق سراحه، ويشفّع كل من له شفاعة عنده، ولكن دون جدوى، وحينما يئس ابن زيدون وهو في سجنه كتب أبياتاً في أبي الحزم بن جهور؛ يقول فيها:[37]

قُلْ للوزيرِ وقدْ قَطعتُ بِمَدْحِـهِ عُمْري فكانَ السّجْنُ منهُ ثَوابي
لا تَخْشَ فـــي حقّي بما أمْضَيْتَهُ منْ ذاكَ فيَّ ولا توَقَّ عِتابـــي
لمْ تُخْطِ في أمري الصّوابَ مُوَفَّقاً هذا جـــزاءُ الشّاعـــرِ الكَذّابِ

فهذه الأبيات تفسّر العلاقة بين الشاعر وممدوحه التي صُبغت بصبغة النفاق والمحاباة، والمدح المبني على الزّيف والخداع من أجل التقرّب والعطاء. وهذه السابقة التي كانت بين ابن زيدون وأبي الحزم؛ تجيب عن التساؤل الذي تساءلناه عندما قام ابن زيدون بهجاء المعتضد الذي كان يمدحه في شعره ونثره، بأنّها ما كانت إلّا بسبب ظاهرة الخوف والرجاء التي تُبنى عليها معظم العلاقات بين الحاكم المستبد والمحكوم الذي اضطر لمسايرة هذا الاستبداد. فالشّاعر ابن زيدون في هذه الأبيات قد أوضح ظاهرة التناقض في شعره بين مدح المعتضد في حياته، وبين ذمّه بعد مماته.

---

(29) اللَّبَة: موضع القلادة. ابن منظور، لسان العرب (مج157/13).
(30) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي، من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، وبرع أدبه، ثم انتقل عن قرطبة إلى إشبيلية وصاحبها المعتضد في سنة 441هـ، وبقي فيها إلى وفاته سنة 463هـ. انظر: ابن خاقان، قلائد العقيان (ص209).
(31) ابن زيدون، ديوانه (ص297). ابن الأبّار، الحلة السراء (ج43/2). ابن بسّام، الذخيرة (ق395/1).
(32) الدُّعاء بموت الميّت والإشعار به. لسان العرب (308/14).
(33) حمّ: قدّر. لسان العرب، مادة حمم.
(34) الحِمام: قضاء الموت وقدره. لسان العرب (232/4).
(35) المزن: السحاب. لسان العرب (67/14).
(36) الجهام: السحاب الذي فرغ ماؤه. لسان العرب (229/3).
(37) ابن زيدون، ديوانه (ص49).

وللشاعر ابن شرف القيرواني أبيات يوضّح فيها كيفية التعايش مع هؤلاء الملوك الجبابرة أمثال المعتضد وغيره من أمراء الطوائف، إذ يقول:[38]

يا خائفاً منْ معشــرٍ لا يُصْطلــى بنارِهِمْ
إنْ تُبْلَ منْ شَرارهــمْ علــى يَديْ شِرارِهِمْ
أو تُرْمَ من أحجارِهِمْ وأنتَ فــي أجحارِهِمْ
فما بقيتَ جارَهُـــمْ ففــي هواهم جارِهِمْ
وأرضِهِمْ في أرضِهِمْ ودارِهِمْ فـــي دارِهِمْ

فلم يكن انتقاد ابن شرف لملوك الطوائف بصورة مباشرة، لأنه لا يريد إثارة غضبهم، ولا يبغي قطع الصلة بهم؛ فقد أكثر من استخدام أسلوب الجناس، والتلاعب بالألفاظ؛ كي يضفي على نصّه روح الدعابة والتندّر من أجل الخروج من دائرة النقد المباشر الذي لا تحمد عقباه عند هؤلاء الطغاة، خاصة أن ابن شرف القيرواني كان دائم الاتصال بملوك الطوائف، يمدحهم وينال عطاءهم باستثناء المعتضد بن عباد، فقد كان ابن شرف يمدح المعتضد ويرسل إليه القصائد ويستقبل أعطياته من دون مواجهته، ويتعذر له عن ذلك قائلاً:[39]

أُحِبّكَ في البَتولِ وفي أبيها[40] ولكنــي أُحِبّكَ منْ بعيـــدِ

فالشاعر يعلم بمكر المعتضد ويخاف غائلته وتقلّب أمزجته وتبدُّل أهوائه؛ لذلك كان يحذر الاقتراب منه والدنو إليه، واكتفى بمداراته ومراسلته من بعيد، إلّا أنّ المعتضد قد ألحّ في دعوته لابن شرف القيرواني كي يأتي إليه ويكون أحد شعراء بلاطه، مما جعل الأخير يوجس خيفة من هذه الدعوة المستمرة، وهذه الرغبة الجامحة من قبل المعتضد، فأدرك أنه لا سبيل إلى مراوغته، فأرسل إليه أبياتاً، يعلن فيها صراحةً سبب امتناعه عن قبول الدعوة، ويبدو من مطالعة الأبيات أن الشاعر قد خرج عن حدود اللّباقة التي عوّد المعتضد عليها من قبل، فأصدر ضجيجاً يُزعج مسامع هذا الملك الذي لم تكن تُتلى على مسامعه غير آيات المدح والثناء، حيث شبّهه بشباك الصيد، وشبّه ضيوفه بالطيور التي تنشب فيه، وشبّه أعطياته وكرمه بالطُعم الذي يغري به ضحيّته من أجل أن يوقع بها في مصيدته، إذ يقول:[41]

أأنْ تَصّيدتَ غيـري صَيْدَ طائـرةٍ أوسَعْتَها الحَبَّ حتى ضَمّها القَفَصُ
حَسِبْتَني فُرْصةً أخرى ظَفِرْتَ بهـا هَيْهاتَ ما كـلَّ حينٍ تُمْكِنُ الفُرَصُ
وظاهِـرٌ حسَنٌ أيضــاً لِقِصّتِهـا لكنْ لها باطِنٌ فـــي طيّهِ قِصَصُ
لكَ المـوائـــدُ للقُصّـــادِ مُتْرَعَـــةً تُرْوي وتُشبِعُ لكنْ بعدهـا غُصَصُ
ولستُ أعجبُ منْ قومٍ بها انتشبوا لكنّما عَجَبـي منْ مَعْشَرٍ خَلَصـوا
ولـم يَطِبْ قـطُّ لـي مَنٌّ يَلذُّ ولا سلوى إذا كان في عُقباهُما مَغَصُ

ومن الشعراء الذين شهدوا على ذلك العصر ونقموا على ملوكه، ونفروا من تصرفاتهم، وأعلنوا البراءة من شرائعهم وصنائعهم، وكان أشد الشعراء وأكثرهم تمرداً في نقده لظلم هؤلاء الملوك الشاعر السميسر فرج بن خلف الإلبيري[42]؛ ثائراً على

[38] الذخيرة (ق172/4). خريدة القصر (ج228/2).
[39] ابن بسّام، الذخيرة (ق181/4).
[40] يقصد بالبتول: فاطمة وأبيها محمد عليه الصلاة والسلام.
[41] المرجع السابق (ق182/4).

[42] أبو القاسم خلف بن فرج المعروف بلقبه " السميسر"، أصله من إلبيرة (قرب غرناطة). سكن غرناطة أيام حكم باديس بن حبوس (430- 466هـ). ثم وقعت وحشة بينه وبين باديس لبيتين قالهما في هجاء البربر، فهرب إلى المرية لاجئاً إلى صاحبها المعتصم بن صمادح. وبقي فيها إلى ما بعد وفاة المعتصم سنة 484هـ. فرّوخ، تاريخ الأدب العربي (ج680/4- 681).

الطغيان والاستبداد، فقد صور ذلك العصر وما فيه من ظلم وظلمات، فمن شعره يصف حال غرناطة في ظل حكم بني زيري:[43]

قالـــوا أتسكُنُ بلـدةً نفسُ العزيـزِ بهـا تهونْ
فـأجبتُهـم بتـــأوُّهٍ كيف الخلاصُ بما يكونْ
غرناطةٌ مثوى الجنيـ ـــنِ يلذُّ ظُلمتَهُ الـــجنين

كان السميسر معاصراً لباديس بن حبوس ملك غرناطة الذي قال عنه ابن حيان: " .. أملى النصر العزيز على الأعداء إملاءً واختباراً، فلبسه بغياً واستكباراً، وأساء الانتقام، ولم يقل العثرة، وأخذ بالظنة، وأسرف في العقوبة، وشدّد بالعصبية، وتقلد الحميّة الجاهلية، واستأثر بالقسوة الجبرية.."[44] ويقول فيه الفتح بن خاقان في القلائد: " كان عائثاً في فريقه، عادلاً عن سنن العدل وطريقه، يجترئ على الله غير مراقب، ويسري إلى ما شاء لا متّقيّا للعواقب، قد حجب سنانه لسانه، وسبقت إساءته إحسانه، ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم، ولا شرب الماء إلا من قليب دم، أحزم من كاد ومكر، وأجرأ من راح وابتكر، وما زال مُتّقداً لنواحيه، لا يرام بريثٍ ولا عجل، ولا يبيت له جار إلّا على وجل..".[45] فهذا الذي ذُكر في ابن حبوس يجعلنا نتصور كيف كانت غرناطة في عهده، وكيف كان حال الناس فيها، وهذا ما جعل الشاعر السميسر يترك داره وديارة، ويبتعد عن غرناطة وضواحيها التي ولد وترعرع فيها؛ هرباً من الظلم والجبروت والطغيان الذي جثم عليها.

وليس لملوك غرناطة وحدهم أخرج السميسر محبرته ليحرك قلم الناقد على صفحات تلك الفترة المشؤومة من التاريخ الإسلامي، فقد شمل بالنقد جُلَّهم إن لم يكن كُلَّهم، وقال ما يجب أن يقال فيهم:[46]

وليتـم فما أحسنتمُ مـذ وليتمُ ولا صنتـمُ عمَّن يصونكمُ عِرضـا
وكنتمْ سماءً لا يُنـالُ منالهـا فصرتمْ لدى مَنْ لا يسائلكمْ أرضا
ستسترجعُ الأيّامُ ما أقرضتكمُ ألا إنها تسترجــعُ الدَّينَ والقرضـا

ولعلّ الشاعر في نقده هذا واتّهامه لملوك الطوائف بأنهم لم يصونوا الأعراض؛ كان يستعرض في مخيلته المعارك التي كانت تقع بينهم من أجل السلطة والتوسع في النفوذ، مستحضراً الأحداث الشنيعة في تلك المعارك من مجازر يقتل فيها عوام الناس وخواصّهم، ويسبى فيها حرائرهم، فلم يراعوا ديناً ولم يرعوا عرفاً ولم يصونوا عرضاً، فمن هذه المعارك، غارات المعتضد بن عباد على بسائط مدينة لبلة، فيقتل الرجال ويسبي النساء ويهدم البيوت ويحرق الزروع والمحاصيل، ومنها بالمقابل غارات غريمه صاحب لبلة ناصر الدولة أبي نصر ابن يحيى اليحصبي الذي توالت غاراته على ضواحي إشبيلية، يباشر أهلها بالقتل والفتك والنهب والسبي.[47]

إنّ الوقائع التي كانت تحدث بين المسلمين في تلك الحقبة المظلمة، والتي أُنتُهكت بها حرمات المسلمين وأعراضهم وأُبيح فيها سبي المسلم للمرأة المسلمة كثيرة، وتكاد تكون أبشعها تلك الحادثة التي وقعت على بني برزال (بنو دمّر) أصحاب مدينة قرمونة، واستجة، وحصن المدوّر[48] من الممالك التي كانت تحيط بهم، فقد جاورهم محمد بن إسماعيل بن عبّاد من ناحية إشبيلية، وجاورهم بنو يفرن من ناحية تاكُرُنّا، وجاورهم ابن جهور من ناحية قرطبة، وجاورهم باديس بن حبوس من ناحية غرناطة، وجاورهم بنو دمّر المنتزون على " مورور" وذواتها وأميرهم محمد بن نوح[49]، ويذكر لنا ابن حيان أحداثها إذ يقول: "

(43) ابن بسّام، الذخيرة (ق887/2).
(44) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (ج211/2).
(45) ابن خاقان، قلائد العقيان (ص80- 81).
(46) التلمساني، نفح الطيب (ج108/4).
(47) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب (ج301/3).
(48) المرجع السابق (ج268/3).
(49) المرجع نفسه (ج268/3).

إنّ هذه القبائل تحالفت وتعاضدت على غزو بلاد بني دمّر ودخل معهم في ذلك ابن جهور ولم يدخل بينهم ابن عبّاد لأنّه كانت بينه وبينهم الحرب، وقصدت هذه القبائل بعد ما حشدت رعيّتها مع زعيمهم باديس ومع أبي نور ومعهم جمع من عسكر ابن جهور حصناً من حصون بني دمّر ونازلته منازلة بلاد الروم، وأقام هذا العسكر على هذا الحصن أياماً يقاتلونهم مقاتلة الكفار حتى دخلوه عنوة، فقتلوا رجاله عن آخرهم وهتكوا الأستار وفتكوا بالأبكار حتى كانت دماؤهنّ تسيل على أقدامهنّ عاريات باكيات، واستحوذ السودان وسفال العسكر على النساء؛ فكانت أخبيتهم[50] مملوءة منهنّ إلى أن برّح[51] باديس بعد ثلاثة أيام عليهنّ فطردوهنّ عاريات حافيات، وخرج نساء هذا الحصن إلى سائر القرى والحصون على ما ذكرنا".[52]

إنّ هذه الأفعال الخبيثة التي كانت تقع بين المسلمين وسار على اتّباعها ملوك الطوائف في الحروب التي كانت تدور بينهم؛ وهي سنة سبي المسلم الغالب لنساء المسلم المغلوب، جعلت محمد بن خزرون[53] حينما علم أنّ الدائرة عليه وعلى قومه بني يرنيّان[54]، وأنّ الغلبة كانت لابن عبّاد في المعركة الدائرة بينهم، فقبل أن يظفر عدوّه بقتله صاح بغلامه، وأمره بقتل زوجته وأخته طعناً بالرمح؛ مخافة أن يسبيهنّ ابن عبّاد.[55]

وقد عبّر السميسر حامل لواء الثورة على هؤلاء الطواغيت في أشعاره عن هذه الأحوال؛ فجاء شعره يخفف به آلام صدور الناس التي أوغرت حنقاً على هذه الزمرة من العصابات المتناحرة من أجل السلطة والاستبداد بها، ومارسوا على شعوبهم صنوف الظلم والطغيان؛ من ضرب وقتل وحبس وتشريد وتجويع، وفرض ضرائب ومكوس ما أنزل الله بها من سلطان، فمن شعره:[56]

رَجوناكُـمْ فما أنصفتمـونا   وأمّلناكُـمُ فخذلتُمـونا
سنَصبرُ والزّمانُ لهُ انقلابٌ   وأنتم بالإشـارةِ تفهمونـا

يخاطب الشاعر في البيتين السابقين ملوك الطوائف بلسان الجماعة، فهو يتحدث باسم أهل الأندلس الذين ضاقوا بهم وبجورهم، ويئسوا منهم بعد الرجاء في إصلاح أمرهم، وخُذلوا بعد فقد الأمل في إنصافهم لهم، فالشاعر هنا ينذر ملوك الطوائف ويذكرهم بعاقبة الظالم والظالمين، وأن للأيام دورة سوف تدور على الطّغاة.

ولقد صدقت قراءة السميسر بشأن انقلاب الزمان على ملوك الطوائف، فقد شهد زمن خلعهم وذهاب ملكهم من قبل دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي أمهلهم لإصلاح أمرهم في رفع المكوس والظلامات عن الناس، فأجابوه بالموافقة، وحينما عاد ابن تاشفين للمغرب عاد ملوك الطوائف في الأندلس لسابق عهدهم، إلى أن ضجر منهم ومن دسائسهم، وقدم للأندلس وخلعهم جميعهم ونقلهم إلى عدوة المغرب.[57] وقد همّ يوسف في هذا الأمر بعد ما أفتاه الفقهاء وأهل الشورى في المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم، وصارت إليه بذلك فتاوى أهل الشرق الأعلام مثل: الغزالي والطرطوشي[58]، فانتهت بذلك فترة ملوك الطوائف وسكنت رياحهم، وفي ذلك يقول السميسر:[59]

خُنتمْ فهُنتُمْ وكمْ أهنتمْ   زمانَ كنتمْ بلا عيونْ
فأنتمْ تحتَ كـلّ تحتٍ   وأنتمْ دونَ كـلّ دونْ

(50) الأخبية جمع، مفرده خباء: وهو ما كان من وبر أو صوف ولا يكون من شعر، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت. والخباء من بيوت الأعراب. ابن منظور، لسان العرب (16/5).
(51) برّح به: أي شقّ عليه. المرجع السابق (52/2).
(52) ابن عذاري، البيان المغرب (ج269/3).
(53) أمير قبيلة بني يرنيان أصحاب حصن شذونة وأركش. المرجع السابق (ج271/3).
(54) من قبائل البربر، أحد بطون زناته. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج15/7).
(55) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب (ج272/3- 273).
(56) ابن بسّام، الذخيرة (ق885/1).
(57) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج203/4).
(58) المرجع السابق (ج249/6).
(59) الأصفهاني، خريدة القصر (ج168/2). التلمساني، نفح الطيب (ج108/4).

سكنتُـمُ يا ريــاحَ عادٍ وكلُّ ريحٍ إلى سكونْ

وقال أيضاً أبياتاً ينكر فيها على بعض أهل الأندلس تعاطفهم مع ملوك الطوائف بعد الذي حلّ بهم، مظهراً ملامح الشفقة عليهم؛ إذ يقول:[60]

يا مُشفقاً من خُمولِ قــومٍ ليس لهـــم عندنا خلاقُ
ذلّوا وقــد طالما أذّلـــــوا دَعهُمْ يذوقوا الذي أذاقوا

- **عصر المرابطين والموحدين وبنو الأحمر:**

مع بداية دخول المرابطين إلى بلاد الأندلس من أجل الاستيلاء عليها، وانتزاعها من أيدي ملوك الطوائف؛ أرسل المعتصم صاحب المريّة ابنه عبيد الله رسولاً إلى يوسف بن تاشفين عندما استقرّ الأخير في غرناطة بعد انتزاعها من يد عبد الله بن بلقين بن زيري، وكان غرض المعتصم في إرسال ابنه لابن تاشفين أن يبادره بالولاء والطّاعة، ويبدي رغبته بأن يبقيه على المريّة والياً، وأن تكون المرية ولاية تابعة لدولة المرابطين تحت إمرة يوسف بن تاشفين؛ ولكن ابن تاشفين لم يحسن استقبال ابن المعتصم، وأمر بتقيده ووضعه بالحبس، فقال عبيد الله بن المعتصم أبياتاً ينتقد فيها هذا التصرف، وهي:[61]

أبعدَ السَّنا والمعالــي خُمــولُ وبعدَ ركوب المَذاكي كبولُ
ومنْ بعدِ ما كنتُ حرًّا عزيزاً أنا اليــومَ عبــدٌ أسيرٌ ذليلُ
حللتُ رســـولاً بغــرناطـــةٍ فحلَّ بها بــيَ خطبٌ جليلُ
وثُقِّفْتُ إذ جئتُها مـرســـــلاً وقد كان يكرَم قبلي الرسولُ

وفي أوائل عصر الموحدين، ثار محمد بن سعد بن مردنيش وتشبّه بملوك الطوائف في ظلمه للرعية وفي استنصاره بالنصارى على المسلمين، وانتزع جميع نواحي شرق الأندلس من أيدي الموحدين بمعاونة النصارى، فقد كان ابن مردنيش يحكم باسم ملوك النصارى، وكان حليفاً لهم ضد المسلمين، خائنا للأمة منسلخاً من العرف والدين. يقول فيه الشاعر عبد الله ابن المنخل الشلبي:[62]

ليس ابن سعدٍ حلفَ سَعدٍ إذ غَدا حلفَ النصارى عاضداً أحكامَها
فلســوفَ يُصبِحُ بالفضاءِ مُجَدّلاً إن لـــم تُطهّــرْ نفسُــهُ آثامَهــا
ويمدُّ للتــوحيد كــفَّ ضَراعـــةٍ بِعتابِ نَفْسٍ راحضاً[63] أَجْرامَها[64]

ويقول الشاعر ابن سيد الإشبيلي[65] أبياتاً يذكر فيها حال محمد بن سعد بن مردنيش وما كان عليه من الضلال والطغيان:[66]

جُــنَّ ابن سعــدٍ بالنفاقِ جنونُـــهُ وطغى إلى أن بات فيهِ الأوْلَقُ[67]
والى[68] الذُّنوبَ فأوبقتهُ[69] كثرةً إنَّ الذُّنــوبَ إذا توالـــت توبِــقُ

(60) الأصفهاني، خريدة القصر (ج2/168). ابن بسّام، الذخيرة (ق1/886).
(61) ابن الأبّار، الحلّة السيراء (ج2/88- 89).
(62) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة (ص369).
(63) الرحض: الغسل. ابن منظور، لسان العرب (6/121).
(64) الجُرْم: التعدي، والجرم: الذنب، والجمع أجرام. المرجع السابق (3/129).
(65) هو النحوي الشاعر أبو العباس أحمد بن سيّد الأشبيلي، لقّب باللص بسبب إغارته على أشعار الناس. التلمساني، نفح الطيب (ج4/203). ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة (ص363).
(66) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة (ص364).
(67) الأولق: الجنون. والأولق: الأحمق. ابن منظور، لسان العرب (1/134).
(68) في كتاب المن كتبت (وإلى) والأصح (والى).
(69) أوبقه: أهلكه. المرجع السابق (15/144).

أخبر الشاعر عما كان عليه ابن مردنيش من الطغيان، ومن ارتكاب الذنوب التي كانت السبب في هلاكه؛ فقد كان أول ما بدأ من ضعف دبّ في إمارة ابن مردنيش وأنذر بدنو هلاكه؛ هو تذمر الرعيّة منه بسبب المكوس التي فرضها عليهم من أجل إعطاء النصارى الجزية المفروضة عليه، إضافة إلى ميله لاتخاذ زي الروم من لباس الضيق، وركوب البراذين[70]، واستعان بالنصارى على تدبيره، ورتب منهم أعواناً وجنداً أفرد لهم بمرسية منازل فيها الحانات والبيع[71]، مما جلب له عداوة كبار قواده، ثم الخلاف الذي حصل بينه وبين صهره إبراهيم بن همشك؛ الذي كان له عونا ونصيراً بيده وبرجاله؛ وكان الخلاف بسبب ابنته التي كانت عند ابن مردنيش إلى أن طلقها، وانصرفت إلى أبيها، وأسلمت إليه ابنها منه، نازعة في انصرامه عروقها، فلقد حُكي أنّها سئلت عن ولدها وإمكان صبرها عنه، فقالت: جرو كلب، جرو سوء، من كلب سوء لا حاجة لي به[72]، وكانت نتيجة هذا الخلاف والتقاطع بينهما، أن جعلت ابن همشك ينحاز بما لديه من البلاد والمعاقل[73]، ثم مال ابن همشك إلى الموحدين ودخل في طاعتهم، وساندهم في إضعاف ابن مردنيش وحصاره، إلى أن أدرك ابن مردنيش الجهد، وأصابه اليأس، ومات في مرسية عام 567هـ[74].

وفي عصر بني الأحمر نجد الظلم مستفحلاً داخل بيت الأسرة الحاكمة، فنجد الأخ يسجن أخاه أو ينفيه خارج غرناطة أو يغتاله مخافة الوثوب على سلطانه، والأب يفعل مع ابنه كذلك، والابن يفعل ذلك مع أبيه، ومن ضمن الانقلابات التي حدثت في قصر المُلْك؛ انقلاب إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل على أخيه محمد الملقب بالغني بالله عام 760هـ[75]، فتملك إسماعيل مقاليد الحكم في غرناطة، وكان الذي ساعده في الوثوب على ملك أخيه ابن عم أبيه الذي أقعده على أريكته، ودبر له شؤون مملكته[76] إلى أن ساءت العلاقة بينهما، فأضمر له الشر، وألّب عليه الناس الذين أقرّوا بسوء أعماله وفساد أفعاله، واجتمعوا عليه في عام 761هـ؛ أي بعد عام من توليه الحكم، فلم يجد له ناصراً يغيثه منهم ويمنعهم عنه، فقبضوا عليه واجتزوا رأسه، وقتلوا معه أخاه قيساً؛ وكان صغيراً في العمر.[77]

أمّا بشأن محمد بن يوسف الغني بالله السلطان المخلوع، فإنّه فرّ إلى وادي آش، وتحصّن بها بمناصرة أهلها الذين رفضوا تسليمه، إلى أن علم السلطان المريني في المغرب بما حدث في أمر غرناطة، فأرسل كتاباً لإسماعيل، يطلب منه السماح لأخيه محمد الدخول في جواره وقدومه المغرب، فأجاب إسماعيل بالقبول، فخرج محمد من وادي آش متوجهاً إلى مدينة فاس، واستقرّ بها مُتابعاً للأحداث التي تجري في الأندلس حتى علم خبر مقتل أخيه، فعاد مباشرةً إلى غرناطة وكان الناس في انتظار قدومه مبايعين له[78]. وفي هذه المناسبة نظم لسان الدين ابن الخطيب[79] قصيدة في مدح السلطان محمد، وقد ذكر فيها ما كان من أمر أخيه إسماعيل يقول فيها:[80]

لـم يدرِ إسماعيل ما طَوَّقْتَـهُ مِنْ مِنَّةٍ لـــو كـان مِمّنْ يَعْقِلُ

نِعَـمٌ مُهنَّـــأةٌ وظِلٌ سجْسَـــجٌ[81] تَندى غَضارَتُـــهُ ومـــاءٌ سَلْسَلُ

---

(70) البراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب. المرجع نفسه (58/2).
(71) انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام (ج235/2).
(72) ابن الخطيب، الإحاطة (ج610/1).
(73) المرجع السابق (ج603/1).
(74) انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام (ج236/2).
(75) انظر: ابن الخطيب، ديوانه (ج105/1).
(76) التلمساني، نفح الطيب (ج84/5).
(77) انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية (ص116- 117).
(78) التلمساني، نفح الطيب (ج85/5).
(79) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أحمد بن علي السلماني اللوشي الغرناطي الأندلسي. اشتهر بألقاب كثيرة منها: لسان الدين، وابن الخطيب، وذو الوزارتين. كان فقيهاً واعظاً، وكان أديباً، شاعراً، مؤرخاً، مشاركاً في فنون عدّة منها علم الطب. ولد ببلوشة سنة 713هـ، ومات مقتولاً في سجنه بتهمة الزندقة سنة 776هـ. ابن الخطيب، أعمال الأعلام (ج10/1).
(80) ابن الخطيب، ديوانه (ج497/2).
(81) لا حرُّ مؤْذٍ، ولا قَرُّ. وقيل: لا ظلمة ولا شمس. لسان العرب (124/7).

أغراهُ شيطانُ الغُــرورِ لغايــةٍمنْ دونها تُنضى المطيَّ الذُّلَّلُ
يَبْغي بهِ دَرجاً إلــى نيْلِ التــي كانتْ قــوى إدراكِـــــهِ تَتَخَيَّلُ
سُرعــانَ مــا أبداهُ ثــمّ أعادَهُفـي هفوةِ البلوى وبئسَ المنْزِلُ
وسقى بكأسِ الحينِ قيساً بَعْدَهُ واللهُ يُمْلــي للطُّغــاةِ ويُمْهِلُ

إنّ الشاعر في هذه الأبيات قد مزج بين المدح والذم، فقد امتدح السلطان الغني بالله بتبيان حسن معاملته لأخيه إسماعيل وإكرامه له، وبالمقابل فقد ذمّ ابن الخطيب إسماعيلَ بسبب نكرانه لما صنع له أخوه، ففي قوله: لم يدر إسماعيل ما طوقته؛ إشارة إلى تجاهل إسماعيل ونكرانه للفضل الذي أحاطه به أخوه الغني بالله، وهو الحبس في قصر مشيّد، وله فيه كل ما أراد من نعم الدنيا ومتاعها[82]. ونلاحظ في تتمة هذا البيت في قوله: من منّة لو كان ممن يعقل أن الشاعر وصف ما يعرف بالإقامة الجبرية التي يَضعُ فيها الملكُ أقرباءه الذين يشكك في نواياهم تجاه الوثوب على العرش بأنّها (منّة)، فهذا الوصف يجعلنا نرى كيف كانت الأمور تجري في بلاط بني الأحمر، ويجعلنا أيضاً نتوقع بأن الأمر السائد لدى هذه العائلة المالكة بشأن محافظة أحد أفرادها على ملكه؛ هو القتل أو النفي أو السجن في زنزانة مظلمة لأبناء أسرته في حالة شكّه ووسوسته بشأن نواياهم.

الخاتمة:

لقد حاول هذا البحث الكشف عن مظاهر الظلم التي صدرت من ملوك الأندلس؛ مسلطاً الضوء على أبرز الجوانب التي خلقت تلك المظاهر، كما أشارت الدراسة إلى أثر الشعر في إظهار ملامح الاستبداد بشتى صوره في بلاد الأندلس.

وفي أثناء البحث الجاد والمستمر عن الأشعار التي تناول فيها الشعراء هذا الغرض؛ لاحظ الباحث الندرة في بعض الفترات مقابل غزارتها في فترات أخر، ففي عصر ملوك الطوائف كانت الأشعار التي قيلت في ذم الملوك وظلمهم كثيرة مقارنة بمختلف العصور، ويعلل الباحث وجود هذه الظاهرة إلى أنّ فترة ملوك الطوائف كان هنالك مساحة من الحريّة يتمتع بها الشعراء ترجع إلى انقسام الممالك وما بينها من حروب أوجدت للشاعر منبراً يصدح به غير مكترث لسوء العاقبة، فإن انتقد ملكاً، فإنّه يلوذ بحماية ملك غيره، بينما كان الأمر مختلفاً في باقي العصور؛ إذ إنّ البلاد كلّها كانت في قبضة ملك واحد، وفي حالة تسرّبَ إليه قول قائل يكدّر صفوه ويمس كبرياءه، فإنّه ظافر به أينما وجد، لذلك لم يجرؤ أغلب الشعراء على نقد ظلم الملوك في تلك العصور إلّا ما ندر.

لقد كان شعر المعارضة السياسي في جميع العصور التي حكم فيها المسلمون بلاد الأندلس جريمة يعاقب عليها مرتكبها بعقوبة أقلها النفي ومصادرة الأموال وأعظمها القتل.

ولعلنا حينما ننظر إلى الجانب الإسلامي في الأندلس، وكيف كان استبداد الملوك وظلمهم، نحتاج إلى إجراء دراسة مقارنة بين الأدب الأسباني والأدب العربي في الأندلس يحكي عن هذا الجانب لمعرفة نقاط التشابه والاختلاف بين الجانبين في الظلم والاستبداد.

[82] انظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية (ص 108، 114).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. (1995م). ***التكملة لكتاب الصّلة،*** تحقيق عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر.

ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي. (1985م). ***الحُلّة السّيراء***، تحقيق حسين مؤنس، ط2، القاهرة، دار المعارف.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني. (1997م). ***الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة***، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، دار الثقافة.

التلمساني، أحمد بن محمد المقري. (1968م). ***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب***، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

ابن حزم، أبو محمد الأندلسي. (1990م). ***ديوانه***، تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم، ط1، طنطا، مصر، دار الصحابة للتراث.

ابن حزم، أبو محمد الأندلسي. (1987م). ***رسائل ابن حزم الأندلسي***، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله. (2008م). ***جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس***، تحقيق بشار عوّاد معروف– محمد بشّار عوّاد، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي. (1989م). ***قلائد العقيان ومحاسن الأعيان***، تحقيق حسين يوسف خريوش، ط1، الأردن، مكتبة المنار.

ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد. (2009م). ***الإحاطة في أخبار غرناطة***، مراجعة وتعليق بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الأمل.

ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد. (1989م). ***ديوانه***، تحقيق محمد مفتاح، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة.

ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطي. (2003م). ***أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام***، تحقيق سيد كسروي حسن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد. (1347هـ). ***اللمحة البدرية في الدولة النصرية***، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية.

ابن خفاجة، ***ديوانه***، شرح وضبط عمر فاروق الطّباع، بيروت، دار القلم.

ابن خلدون، عبدالرحمن. (2000م). ***تاريخ ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)***، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاته، بيروت، دار الفكر.

ابن زيدون. (1994م). ***ديوانه***، شرح يوسف فرحات، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي.

الأصفهاني، العماد. (1986). ***خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء المغرب والأندلس)***، تحقيق آذزتاش آذزنزش، ط2، تونس، الدار التونسية للنشر.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك. (1987م). ***المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)***، تحقيق عبد الهادي التازي، ط3، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

الضبّي. (1989م). ***بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس***، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، القاهرة، دار الكتاب المصري_ بيروت، دار الكتاب اللبناني.

فرّوخ، عمر، ***تاريخ الأدب العربي***، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2005م). ***القاموس المحيط***، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن القوطية. (1989م). ***تاريخ افتتاح الأندلس***، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط2، القاهرة، دار الكتاب المصري _ بيروت، دار الكتاب اللبناني.

ابن عذاري، المرّاكشي. (1983م). ***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب***، تحقيق ج. س. كولان– إ. ليفي بروفنسال، ط3، بيروت، دار الثقافة.

المرّاكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي. (2006م). ***المعجب في تلخيص أخبار المغرب***، شرح واعتناء صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.

المغربي، ابن سعيد (1964م). ***المغرب في حلى المغرب***، تحقيق شوقي ضيف، ط4، القاهرة، دار المعارف.

ابن منظور، جمال الدين. (2011م). ***لسان العرب***، ط7، بيروت، دار صادر.